في خلال ذلك كان الخان يدمر كل شيء امامه ويقترب سريعاً من موسكو . كان ذلك الانتقام الاكبر . وقد تسبب التتر ببلبلة ليس لها مثيل وهم يطردون امامهم الآلاف من الهاربين المذعورين حتى المدينة . وكان الجيش الروسي قد انسحب اليها واتخذ مواقعه لمباشرة معارك الشوارع ، ولكن المعركة لم تحدث لان النار والدخان اتيا بالنصر بعد أن اخذت الريح تعصف بالمدينة المبنية بالاخشاب . وعندما وصل الخان أصدر اوامره بأن توضع النار في الضواحي ، فارتفعت السنة اللهيب تطارد الروس بضراوة اشد من ضراوة العدو . وخلف هذا الستار الواقي كان التتر يتقدمون ببطء ، ومن اسلم نفسه منهم للنهب هلك مع من هلك من الروس . ولم يكن الخان كثير الفطنة . فقد كان بإمكانه الحصول على افضل النتائج لو اكتفى بحريق صغير . ولكنه كان يحث جنوده على أن ينشروا خارج المدينة هذا الحريق الذي دمرها كامل التدمير . وهكذا ضاع القسم الاكبر من الغنيمة . ولكن من وجهة النظر الانتقامية كان انتصار التتر رهيباً وكان أكثر رهبة منه أن تتمكن موسكو من استعادة ما فقدته من ثروات وكان الدخان الكثيف النفاذ يرمي اللهب القاني ويمضي من حي الى حي خانقا ومدمرا كل اولئك الذين لم يتمكنوا من الهروب حتى بلغ عدد الذين هلكوا ارقاما كبيرة .

اما الروس الذين وقعوا اسرى في ايدي التتر فكانوا اولئك الذين اسعفهم الحظ فتمكنوا من الفرار الى الضواحي الشمالية هرباً من النيران ودمرت المدينة المبنية من الاخشاب تدميرا كاملا ولم يبق منها الا بعض الجدران وبعض الكنائس المبنية من الحجارة . وقاومت أسوار الكريملين النيران بينما كانت ابوابه قد اغلقت في اغلب الظن بأمر من المتروبوليت سيريل الذي تمكن من النجاة بكل تأن بينما كانت رعيته يشوون . وفي خلال ثلاث ساعات هلك اكثر من نصف مليون انسان . وكان أشد المشاهد فظاعة منظر الجماهير وهي تتزاحم وتندفع نحو الساحات الخالية فتقع في الفخ وتحاصر ويطأ بعضها بعضا فلا تستطيع التقدم ولا التأخر ، اما وجوهها فشاحبة شحوب الموت من الفزع والهول وعيونها